الفصل الأول
1

الأعاقة العقلية

- المقدمة
- نظرة تاريخية
- تعريف الإعاقة العقلية
- التعريفات الطبية
- التعريفات السيكومترية
- التعريفات الاجتماعية
- تعريف الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي (AAMR , 2002)

المقدمة (An Introduction)

لقد عرف الإنسان منذ أقدم العصور، الإعاقة العقلية (Mental Handicap)، التي طالما حار فيها علماء الطب والتربية والاجتماع، حيث بحث كل جيل عن من يوضح حقيقة الإعاقة العقلية. فبحثت المجتمعات القديمة في تفسير ظاهرة الإعاقة العقلية؛ ولأن البحث من أجل الفهم لدى أي جيل محدود بعض الشيء بما كان يتيسر له من طرق، فقد افتقرت المجتمعات البدائية إلى الطرق المنتظمة لتفسير ظاهرة الإعاقة العقلية، واعتمدت في تفسيرها لتلك الظاهرة على الأساطير والخرافات كمصادر رئيسة لمعرفة الإعاقة العقلية. فكان هناك خلط كبير بين مفهوم الإعاقة العقلية وبعض المفاهيم الأخرى التي تتشابه معها في بعض المظاهر مثل مفهوم المرض العقلي (Mental Illness).

أما في العصر الحديث فقد زاد اهتمام العلماء بالإعاقة العقلية وتفسيرها وذلك لتعدد جوانبها وأبعادها، حيث مرت هذه الظاهرة بالعديد من التأملات الفلسفية، والنظريات العلمية عبر التطور الحضاري الإنساني النامي، وعبر عصور تاريخية متميزة، أدت إلى تفهم الطفل المعاق عقلياً، وإدراك مستلزمات حاجاته الأساسية، وحفزت الباحثين بتجارب حياتية غنية، واجتهادات وتفسيرات نامية متأثرة بفلسفات، وعقائد وأفكار، متآلفة تارة، ومتعارضة تارة أخرى، وذلك تبعاً لاختلاف الأمم والشعوب في علاقاتها الاجتماعية ونظمها الحياتية، واتجاهاتها السياسية، وإمكاناتها المادية والاقتصادية، وظروفها الطبيعية والجغرافية، ونتيجة لذلك ظهرت آراء فلسفية، وتجارب علمية، واتجاهات ونظريات تربوية ونفسية في دراسة الطفل المعاق عقلياً، بمختلف أبعاد نموه، وتفاعله مع محيطه.

ورغم التحسن الواضح في الناحية الكمية والكيفية للخدمات المقدمة للأطفال المعاقين عقلياً في الوطن العربي في السنوات الأخيرة، إلا أن هناك حاجة ملحة لتكثيف تلك الجهود وتكاملها في نسق واحد يغطى الفجوات الموجودة في بعض الخدمات.

حيث مازالت قطاعات عديدة من المجتمع تحتفظ بقدر مؤثر من الاتجاهات السلبية والمعلومات المغلوطة حول صفات وقدرات الأطفال المعاقين عقلياً، رغم محاولة المختصين الإسهام في إزالتها.

فالأطفال المعاقون عقلياً في أمس الحاجة إلى جهد مستمر ومتواصل ورعاية شاملة ومتكاملة من شتى المؤسسات الاجتماعية، سواءً كانت الأسرة أو المدرسة أو المجتمع، بشكل عام، وذلك بهدف رعايتهم لكي يستطيعوا أن يحيوا حياة طبيعية فعالة ومنتجة، وإن أي تقصير في تقديم هذه الرعاية تدفعهم إلى مزيد من العزلة والإحساس بالفشل والعدوانية من خلال مظاهر الإحباط المحيطة بهم.

يستطيع الطفل المعاق عقلياً أن يتعلم ولكنه يحتاج إلي أساليب خاصة تتمثل في اكتشاف القصور في المهارات الأساسية في سن مبكر للأطفال المعاقين عقليا حتى لا يكون نقص هذه المهارات مشكلة جديدة لهم، وللوالدين ولمن يقومون بتأهيلهم وتدريبهم ولجميع من يتعاملون معهم.

ولذا فإن تربية الطفل المعاق عقلياً يجب أن تكون بقدر الإمكان خبرات سعيدة ناجحة متمشية مع مراحل نموه الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي.

وبالرغم من أن قدرة هذا الطفل على التعلم والاستيعاب، وقدرته على الاعتماد على نفسه، تكون أقل وأبطأ مما هو معتاد لدي أقرانه العاديين، إلا أن إمكانيات تحسين قدراته ومهاراته بالتدريب والتعليم، تبقي قائمة مع الصبر والمثابرة والأسلوب المناسب، إذ يستطيع المعاقون عقلياً، أن يصلوا إلي درجة لا بأس بها من الاستقلالية والاعتماد على النفس إذا أحسن تدريبهم وتعليمهم.

ولا توجد خطة محددة لتعليمهم أو خطة محددة لتعديل سلوكهم، لذا فإننا نحتاج إلى أن نعمل على تطبيق مبادئ تعليمية وسلوكية أساسية خاصة لكل طفل، قائمة على أساس الاحتياجات الفردية وخصائص التعليم. أي تطوير منهاج خاص لكل طفل معاق عقلياً وهذا المنهاج يعرف باسم البرنامج التربوي الفردي (Individualized EducationalProgram)، ونجاح الطفل هو المفتاح. فإذا كان الطفل ناجحاً في تعلم ما نعلمه إياه، عندئذ نعرف أننا في الطريق الصحيح. وإذا كان الطفل يصادف نجاحاً ضعيفاً أو لا يصادف أي نجاح، حينئذ نعرف أننا بحاجة إلى إعادة النظر في منهاج البرنامج التربوي الفردي، ونكون مستعدين لتغيير طرائقنا، ولنتعلم ماذا يمكن أن نعلم الطفل ويكون مفيداً وذا معنى بالنسبة له، ونكون مستعدين لتغيير منهجه لمواجهة احتياجاته، ولنتعلم كيف نطبق المبادئ التعليمية والسلوكية الأساسية للطفل.

وجدير بالذكر أن نشير هنا إلى بعض المسميات أو المصطلحات التي قد تطلق على الإعاقة العقلية، وقد تتغير هذه المسميات بحسب البلدان والمجتمعات وإلى ظروف ترجمة المصطلحات الإنجليزية، مع العلم أن كلها تحمل نفس المعنى، وهي:

- الإعاقة العقلية (Mental Handicap)
- التخلف العقلي (Mental Retardation)
- التأخر العقلي (Backward Mental)

- الضعف العقلي (Deficient Mental)
- النقص العقلي (Deficiency Mental)
- الإعاقة الذهنية (Cognitive Disability)
- الإعاقة الفكرية (Intellectual Disabilities)

نظرة تاريخية Historical Perspective

يعتبر المعاقون عقلياً من أكثر فئات الإعاقة معاناة عبر العصور التاريخية، حيث مر المعاقون عقلياً بعدد من الأساليب المتعلقة بطرق التعامل معهم، والتي قد تتفق أحياناً، وقد تختلف أحياناً. ففي العصور الإغريقية، كان المعاقون عقلياً يعاملون معاملة قاسية، فأحياناً كانوا عرضة للسخرية والذل والاحتقار، وأحياناً كانوا يتركون لحالهم حتى الموت، حيث اعتبر الإغريق أن المعاق عقلياً غير صالح للحياة ويجب التخلص منه في مرحلة الطفولة، اعتقاداً منهم بأنهم عالة على المجتمع. كما كانوا يستخدمون لأغراض التسلية والإضحاك والسخرية خاصة في بيوت الأغنياء. وقد دعا أفلاطون إلى التخلص من المعاقين عقلياً إما بالنفي أو النبذ والطرد خارج البلاد وحرمانهم من كافة الحقوق والواجبات المتاحة للعاديين.

أما في العصور الرومانية فقد كانوا أكثر تسامحاً في رعاية المعاقين عقلياً، وقد حظوا باهتمامهم، وذلك بسبب اعتقادهم بأن المعاق عقلياً يمكن علاجه، كما كان الرومان يعتبرون الصلاحية الجسدية والعقلية مهمة جداً. وفي العصور المسيحية الأولى تغيرت النظرة إلى المعاقين عقلياً حيث أصبحت أكثر إنسانية إذ وفرت الأماكن الخاصة لإيواء المعاقين عقلياً ورعايتهم. غير أنه سرعان ما عادت النظرة القديمة نحو هؤلاء المعاقين في بداية العصور الوسطى حيث استخدم المعاقون عقلياً كوسيلة للتسلية والترفيه لأبناء الطبقة الحاكمة في بعض المجتمعات الأوربية.

أما في العصر الإسلامي، فقد شهد المعاقون بجميع فئاتهم كل مظاهر العون والرعاية والتقبل من المجتمع، كما نهى الإسلام عن السخرية بأي فرد كائناً من كان، بسبب ما ألم به من نقص، حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيْمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾. سورة الحجرات آية (11)

ويشير كثير من المؤرخين الغربيين بأن المجتمع الإسلامي كان أول المجتمعات التي قدمت برامج رعاية حقيقية للمعاقين، ووفر لهم كل سبل العيش الكريم والاندماج مع أفراد المجتمع. (الشناوي، 1997)

وفي القرن التاسع عشر أصبحت الاتجاهات منطقية أكثر وعلمية أكثر وانبثقت المؤسسات لرعاية الأطفال المعاقين عقلياً. وقد كان للطبيب الفرنسي جان إيتارد (Jean It-ard)، أثر ملموس في هذا الاتجاه فقد وصف هذا الطبيب حالة " طفل غابات الأفيرون المتوحش" (Wild Boy Of Aveyron)، وجد ضالاً في غابة بعيداً عن أي تفاعل بشري على مدى سنوات عديدة. وقد اعتقد إيتارد أن حالة الطفل قد نجمت عن عدم توفر التفاعل الاجتماعي والخبرات التعليمية وأن بالإمكان معالجة الطفل. وعلى الرغم من أن إيتارد استطاع أن يحقق نجاحاً جزئياً في تغير السلوك التكيفي (Adaptive Behavior)، لذاك الطفل إلا أنه قد أعلن عن فشله في معالجته. وعلى الرغم من ذلك فقد أضاءت الطرق العلاجية التي استخدمها إيتارد الطريق للآخرين من بعده وكان على رأس هؤلاء إدوارد سيجوين (Edward Seguin)، وهو أحد تلامذة إيتارد. وقد اعترف العالم لاحقاً بجدوى الطرائق التربوية والعلاجية التي طورها سيجوين للعناية بالمعاقين عقلياً، وكان لأعمال إيتارد وسيجوين أثر بالغ على إنشاء المؤسسات الخاصة بالمعاقين عقلياً في أوروبا وأمريكا. (الخطيب، والحديدي، 2005)

ونتيجة لزيادة الاهتمام بمشكلة المعاقين عقلياً في فرنسا وضع العالم بينيه (Binet)، أول مقياس للذكاء ظهر في العالم (The Stanford. Binet Intelligence Scale)، لدوافع ديمقراطية ولدافع إنساني، وذلك لوضع طريقة موضوعية لتشخيص الأطفال المعاقين عقلياً لوضعهم في مدارس خاصة حتى لا يتعرضوا للإحباط والقلق الذي يصيبهم من جراء وجودهم في مدارس عادية، وتركزت فلسفة بينيه في تربية المعاقين عقلياً في السعي لمعرفة الحالة العقلية لهم، ومدى قدرتهم على التعلم، وإمكاناتهم وقدراتهم، وعني بتنظيم برنامج تعليمي لهم في المدارس العادية لجعلهم قادرين اجتماعياً ومهنياً، بدلاً من إيوائهم في مؤسسات ينشئها المجتمع، وقد ركز بينيه اهتمامه على قياس الذكاء (Intelligence)، والتعرف على الأطفال المعاقين عقلياً في المدارس العادية، بالكشف عنهم بواسطة اختبارات سيكولوجية وتربوية، وبالمشاهدة الدقيقة لهم أثناء تعليمهم وإعداد البرامج التعليمية المناسبة لهم. (الهجرسي، 2002)

وقد بلغت ذروة الاهتمام بالإعاقة العقلية، حينما تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية، الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي (American Association on Mental Retardation)،

في عام 1876م، حيث تعتبر من أشهر الجمعيات العلمية في ميدان الإعاقة العقلية، في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها.

تعريف الإعاقة العقلية Mental Handicap Definition

مر تعريف الإعاقة العقلية بتطورات كثيرة وبمراحل عديدة، وسوف يظل في حالة تطور مستمر، وذلك لتأثره بنظرة المجتمع واتجاهاته نحو هذه الظاهرة، وإذا فليس من المستغرب أن نجد تعريفات مختلفة لهذه الظاهرة، وقد يكون من المناسب استعراض تلك التعريفات.

التعريفات الطبية: (Medical Definition)

يعتبر الأطباء من أوائل الأخصائيين الذين تعاملوا مع الإعاقة العقلية، لأن التشخيص يبدأ عادة من عيادة الطبيب، حيث تركز هذا التعريفات على أسباب الإعاقة العقلية المؤدية إلى إصابة المراكز العصبية والتي تحدث قبل أو بعد الولادة وإلى الأسباب المؤدية إلى عدم اكتمال عمر دماغ الفرد سواء قبل الولادة أو بعدها، مما يؤدي إلى نقص القدرة العامة للنمو وبالتالي يؤثر على التكيف مع البيئة.

ومن أمثلة هذه التعريفات التالي:

1- تعريف تريد جولد (1937) Tredgold:

الإعاقة العقلية هي "حالة من عدم اكتمال النمو العقلي من نوع ودرجة يكون هذا الفرد فيها غير قادر على تكييف نفسه مع مطالب البيئة التي يعيش فيها بطريقة تحافظ على بقائه مستقلاً عن الإشراف والمراقبة ومساعدة الآخرين ".

2- تعريف جيرفيز (1952) Jervis:

الإعاقة العقلية هي "حالة من النمو العقلي المتوقف أو غير المكتمل نتيجة لمرض أو إصابة تحدث للفرد قبل سن المراهقة أو نتيجة لأسباب وراثية ".

3- تعريف بنوا (1959) Benoit:

الإعاقة العقلية هي "حالة من النقص في وظائف العقل نتيجة عوامل متعددة، تؤدي إلى ضعف في كفاءة الجهاز العصبي، ونقص في القدرة العامة للنمو، والقدرة على التكيف ".

(عبد الحميد، 1999)

التعريفات السيكومترية: (Psychometric Definition):

تعتمد هذا التعريفات على مقاييس الذكاء كمحك في تعريف الإعاقة العقلية والذي اعتمد مقياس ستانفورد بينيه أو مقياس وكسلر، وقد اعتبر الأفراد التي تقل نسبة ذكائهم عن 75 معوقون عقليا.

ومن أمثلة هذه التعريفات التالي:

1- تعريف والين (1949) Wallin:

الفرد المعاق عقلياً هو الذي يخفق عند استخدام الاختبارات النفسية المقننة معه في الحصول على نسبة ذكاء، أو عمر عقلي معين.

2- تعريف سبتز (1963) Spitz:

الإعاقة العقلية هي حالة من النمو العقي المتأخر تحدد بنسبة ذكاء (Q, I) أدنى من 70 على اختبار فردي مقنن للذكاء.

3- تعريف زيجلر (1973) Zigler:

الخاصية الرئيسة للإعاقة العقلية هي ذكاء أدنى من ذلك الذي يظهره العدد المتوالي لمجموعة مرجعية مناسبة. (الشناوي، 1997)

التعريفات الاجتماعية: (Social Definition):

تعتمد على المقاييس الاجتماعية والتي تهتم بعملية التكيف الاجتماعي ضمن البيئة التي يعيش فيها الفرد وقدرته على الاستجابة للمتطلبات الاجتماعية المتوقعة منه مقارنة مع أقرانه من نفس مجموعته العمرية، ومن هذه المتطلبات التعليم والتأهيل، وبناء على ذلك فإن الفرد يعتبر معوقا إذا فشل في القيام بهذه المتطلبات إي انه يجب أن يكون متكيف اجتماعيا.

ومن أمثلة هذه التعريفات التالي:

1- تعريف بندا (1954) Benda:

يعتبر بندا المعاق عقلياً بأنه " هو الفرد الذي يحتاج إلى إشراف ومراقبة ورعاية ؛ من أجل رفاهيته ورفاهية المجتمع ".

2- تعريف مازلاند (1963) Masland:

الفرد المعاق عقلياً " هو الفرد غير القادر على الأداء في المستوى المطلوب للتوازن المقبول في إطار بيئته الثقافية ".

3- تعريف بوزير (1969) Poser:

تعني الإعاقة العقلية أن يؤدي الفرد في مستوى أدنى من ذلك المستوى المتوقع في مثل عمره. (الشناوي، 1997)

تعريف الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي:

The American Association Of Mental Retardation (AAMR)

يعتبر تعريف الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي، من أهم التعريفات وأكثرها انتشاراً واستخداماً عند تحديد المعاقين عقلياً، وقد تطور وعدل تعريف الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي في أعوام (1959، 1961، 1973، 1983، 1992، 2002) .

ومن أمثلة هذه التعريفات التالي:

تعريف هيبر (1959) Heber:

تمثل الإعاقة العقلية مستوى الأداء الوظيفي العقلي الذي يقل عن متوسط الذكاء بانحراف معياري واحد ويصاحبه خلل في السلوك التكيفي ويظهر في مراحل العمر النمائية منذ الميلاد وحتى (16سنة).

تعريف جروسمان (1973) Grossman:

تمثل الإعاقة العقلية مستوى الأداء الوظيفي العقلي والذي يقل عن متوسط الذكاء بانحرافين معياريين ويصاحب ذلك خلل واضح في السلوك التكيفي ويظهر في مراحل العمر النمائية منذ الميلاد وحتى (18) سنة. (الروسان، 2006)

تعريف الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي لعام (1992):

لقد طورت الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي تعريف الإعاقة العقلية بحيث اشتمل على العديد من وجهات النظر والمفاهيم الحديثة. حيث قامت لجنة متفرعة عن الجمعية الأمريكية

للتخلف العقلي عرفت بلجنة المصطلحات والتصنيفات (AAMR Committee on Terminology and Classification,1992) وفيما يلي نص لهذا التعريف:

تمثل الإعاقة العقلية قصوراً واضحاً في الأداء العقلي الحالي يقع دون المتوسط ويظهر متلازماً مع قصور واضح في مهارتين أو أكثر من مهارات التكيف التالية:

- التواصل (Communication).
- العناية بالنفس (Self-Care).
- القيام بأعباء الحياة في المنزل (Home Living).
- المهارات الاجتماعية (Social Skills).
- التنقل بين المؤسسات ومراكز الخدمة في المجتمع والتعامل معها (Community Use).
- اتخاذ القرارات والتوجيه الذاتي (Self -Direction).
- الصحة والسلامة (Health and Safety).
- الترويح والترفيه عن النفس (Leisure).
- الحصول على عمل والاحتفاظ به (Work). (سيسالم، **2005**)

أما التعريف الحديث للجمعية الأمريكية للتخلف العقلي American Association of Mental Retardation (AAMR , 2002):

فهو ينص على أن: "الإعاقة العقلية هي إعاقة تمتاز بمحددات ملحوظة في كل من القدرات الوظيفية الذكائية وفي السلوك التكيفي كما هو معبر عنه في المهارات الذكائية، والاجتماعية والمهارات التكيفية الممارسة وتنشأ هذه الإعاقة قبل سن (18) سنة ".

ويشير هذا التعريف إلى الافتراضات التالية:

1- محددات في القدرة الوظيفية الحاضرة في بيئة الطفل المحيطة كما هي لدى أقرانه من نفس العمر والثقافة.

2- الأخذ بعين الاعتبار التنوع الثقافي واللغوي عند التقييم وكذلك الفروق في العوامل التواصلية والحسية والحركية والسلوكية.

3- محددات مع القدرات لدى الفرد المعاق عقلياً.

4- استقلال وصف المحددات في تطوير احتياجات الفرد الخاصة.

ويشتمل تعريف الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي (AAMR , 2002) على ثلاث عناصر أساسية للإعاقة العقلية:

القدرات الوظيفية الذكائية (Intellectual Functioning)

ويمتاز الأفراد المعاقون عقلياً بأن لديهم قدرات وظيفية ذكائية أدني من المتوسط ويستعمل فريق الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي الصادر عام (2002) علامة الفصل 70 على اختبار الذكاء.

السلوك التكيفي (Adaptive Behavior)

والسلوك التكيفي هو مجموعة من المهارات المفاهيمية والاجتماعية والعملية والتي يتم تعلمها من قبل الأفراد ليتمكنوا من العيش في الحياة. ويعاني الأفراد المعاقون عقلياً من صعوبات في هذه المجالات بسبب عدم امتلاكهم المهارات اللازمة في مواقف محددة.

أنظمة الدعم (Systems of Support)

ويحتاج كل فرد إلى أنظمة الدعم الخاصة في الحياة وقد حدد تعريف الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي الصادر عام (2002) هذه الأنظمة من الدعم كعنصر من عناصر الإعاقة العقلية.

ويحدد الدعم وفقاً لدرجة الشدة. ويشتمل أنظمة الدعم على أربع مستويات هي المتقطع (Intermittent)، والمحـــدد (Limited)، والمكثف (Extensive) أو الدائم (Pervasive).

(الزريقات، 2006)